طريق الصليب

(مر ٨: ٣١-٣٨)

تأليف: جو شوبيرت

الإصحاح الثامن من إنجيل مرقس هو أصحاح بالغ الأهمة. انه يمثل نقطة تحول مهمة. في هذا الأصحاح سأل يسوع الرسل سؤالا مباشرة عن إيمانهم به (الآية ٢٩). أجاب بطرس في حضور الرسل الآخرين باعترافه العظيم: « أنت المسيح. » كما تخبرنا سجلات الإنجيل، ان هذه هي أول مرة أعترف علانياً بيسوع كونه المسيا. كانت هذه اللحظة ذات مغزى مهم جداً.

استجاب يسوع لكل هذا بطريقة تبدو غريبة في الوهلة الأولى. يقول الإنجيل: « فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه » (آية ٣٠). أليس ذلك غريباً؟ الآن قد عرفوا أخيراً من هو، ألا تعتقد بان هذا هو الوقت الذي يجب ان يقول لهم « أريد أن أرسلكم مرة أخرى. اذهبوا إلى كل قرى الجليل وقولوا للناس من هو أنا »؟ ولكن عوضاً عن ذلك انتهرهم ان لا يكلموا أحد عن ما كشفوا عنه. هذه من أحد التطورات المحيرة في خدمة يسوع.

عندما نتطلع على الماضي يمكن ان نرى حكمة يسوع. وكان الرسل في هذه اللحظة في حالة سؤ فهم عظيم عما هو ملكوت الله. مازالوا حتى ذلك الوقت يتوقعون مثل الآخرين تنصيب يسوع ملكاً. « ليحكم على فلسطين بالطريقة نفسها التي حكم بها داود وسليمان، » هكذا ظنوا.

عندما راقب الرسل المسيح، أزدادوا تعجبا بما له من قوى فوق الطبيعية. لم يستطع نبي ان يقوم بأعماله العظيمة. أخرج الشياطين؛ وأطعم الجياع؛ وأشفى المرضى؛ أمر العواصف فسكنت. يمكن لإنسان بتلك القوى أن يسقط طغيان الروم ويعيد حكم الله إلى فلسطين. توقع كثير من أتباع المسيح مستقبلا {دنيوي} مجيداً له. أعترفوا به كملك تنبأ به الأنبياء العظماء، ولكنهم كانوا غير مستعدين بما فيه الكفاية لمستقبل المسيح كما يصوره هو. كاد فهمه ان يكون معاكس تماماً لفهمهم. كان يتوقع ان يأتي بحكم الله من خلال الموت وليس من خلال الجلوس على عرش فلسطين في أورشليم.

تعليق أحد الكُتاب على هذا النص يقترح بان إذا كان التلاميذ قد خرجوا في هذا الوقت ليقولوا ما عرفوه عن المسيح لكانوا قد خلقوا رد فعل عاطفي عظيم بين الشعب واتباع المسيح عامة، ان هذا سيكون اتباع مبني على آساس غير موفق وعلى فهم ناقص. قال الكاتب ايان توماس بانه من غير شك لكانوا قد أثاروا الشعب بحيث يكون جميع الحمير في إسرائيل بملصقات على أذنابهم تقرأ على النحو التالي « عبر عن سخطك للرومان إن كنت تحب المسيح » اني لست متأكداً بان هذا كان الذي سيحدث ولكنه يوضح الفهم القليل الذي أدركه التلاميذ حقاً عن يسوع رغم انهم علموا بانه كان المسيح.

١. النبوءة المفهومة خطأ (مر ٨:٣١ ، ٣٢)

تحرك الرب حالاً ليعلمهم أكثر. تقرأ الآيتين ٣١ و ٣٢ من الأصحاح الثامن كما يلي:

وابتدأ يعلم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم

كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل. وبعد ثلثة أيام يقوم. وقال القول علانية.

يخبرنا مرقس بصفة خاصة بانه في هذه اللحظة من الزمان ابتدأ يسوع يعلم الرسل عن الصليب. كان قد ألمح إليه في وقت سابق. كان الرب يعلم طبعاً عن الصليب منذ البداية. في الأصحاح الثاني من إنجيل يوحنا يخبرنا بان في خدمته المبكرة في أورشليم قال يسوع لليهود: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه» (يو ١٩:٢). وقال لنيقوديموس الذي جاء إليه ليلاً ما يلي: «وكما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان» (يو ١٤:٣). وقبل أيام قليلة، كما يسجله متى البشير قال، سيعطى للشعب آية النبي يونان: «لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلثة أيام وثلاث ليالي، هكذا يكون إبن الإنسان في قلب الأرض ثلثة أيام وثلاث ليالي» (متى ٤٠:١٢). لكن هذه التوضيحات كانت في صورة لغزية ولم يفهمها التلاميذ حقاً.

الآن تكلم يسوع بوضوح عن الصليب. حالة الفعل في الكلمة اليونانية المستخدمة في الآية ٣٢ يترجم كالآتي «استمر يقول هذا علانياً.» ربما علمهم يسوع لبضع أيام ما كان سيحدث. أظهر اسم الأعداء الذين سيواجهونهم عندما أتوا إلى أورشليم ووصف ما سيفعلون به. تخبرنا سجلات أخرى بانه أوضح هذا بالتفاصيل. انه تحدث عن الإستهزاء به وجلده الذي لا بد ان يتم. قال لهم علانياً كل ما سيحدث.

٢. التوبيخ الصارم

لم يصدق بطرس أذنيه، تكلم يسوع بمثل هذا الوضوح بحيث لا يفوت على التلاميذ فهم أي نقطة. ولكن كان كل هذا معاكساً لما لديهم من الرجاء في المسيح. كيف يكون الموت بداية سلطة ملوكية؟

يسجل مرقس البشير حدث لا يصدق. قال: «فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره» (آية ٣٢). تصور بطرس ينتهر المسيح! انه قال: «يا رب لا ينبغي عليك أن تتحدث بمثل هذا. ما هو السبب ان يكون هذا رهيباً. لا يمكن ان يسمح لهذا بالحدوث.» يا لها من صورة! قبل دقيقة كان بطرس يقول: «أنت المسيح وفي دقيقة التالية قال» كلا. بهذه الطريقة تكون المسيح. واني سأريك. لم تكن الآلام جزء من برنامج بطرس. الخدمة التي ظن بطرس ان يكون جزء منها كانت خدمة المجد والإجلال والقوة. كان سيجلس على جانب وشخص آخر على الجانب الآخر، ويكونان معاً أعضاء المجلس الإستشاري للنظام الجديد العظيم.

قد نشعر بما شعر به بطرس، تخيل رد الفعل بالنسبة لنا، إذا وقف رئيس جديد عند توليه المنصب وأوضح بالتفصيل لأمته كل الأهداف التي يريد تحقيقها خلال فترة رئاسته، وأضاف أمل جديد لشعبه، ولكنه ختم بالاعلان انه يعاني من داء فتاك وسيموت خلال اسبوع واحد. هل تتصور كيف يكون رد الفعل؟ يبهت الناس ويتحيروا. كيف يتمنى ان يتمم ما أوضحه إن كان هكذا سيكون الأمر؟

هذا هو رد الفعل الذي نراه في التلاميذ. وجدوا ان كلمات المسيح لا تصدق. كانوا مروعبين ومتعجبين ومتحيرين. التفت بطرس وإنتهر الرب. ظن بطرس بانه كان على حق. ولكنه لا يمكن ان يكون على خطأ أكثر من هذا. كان على خطأ جداً بحيث قال له يسوع: «اذهب عني يا شيطان، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» (آية ٣٣). كان الإنتهار صريح ومن غير تردد. «أغرب عن بصري يا شيطان. انت لا تفكر كالله لكن كالشيطان. اذهب عني يا بطرس إلا أن تفكر صحيحاً.»

قرر بطرس واقتنع بان يسوع كان هو المسيح، ولكنه كان يتصور أفكار كثيرة. كان متحيزاً جداً بما كان يريد للمسيح ان يكون ويعمل ذلك كان من الصعب جداً عليه التغير.

لا يفهم أحد المسيحية حتى يفهم الصليب أولاً. مثل أولئك الرسل، هكذا نحن أيضاً لم نرى يسوع بصورة صحيحة حتى نراه كمن كان يتوجه نحو الصليب. أليس من الغريب ان الرسل بدءوا وكأنهم لم يفهموا المسيح أبداً

عندما تحدث عن الصليب وقيامته؟ لم يستوعبوا أبداً ما كان يعنيه. أوقفهم الصليب ولم يستطيعوا المضي إلى ما بعده. لم يفهموا أبداً ما يعنيه حدث القيامة المجيدة حتى تم. لم يسألوا المسيح عنه أبداً. لم يسألوه أبداً عن ما سيعنيه. وذلك التحول هو أغرب الكل.

٣. الشروط المطلوبة (مر ٨:٣٤-٣٨)

عند العودة إلى نص درسنا هذا، واستمر المسيح بأعطاءالخطوط العريضة للتهذيب. قال في إنجيل مرقس ٨:٣٤: «من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني.» من خلال كلمات يسوع نفسه نرى ماذا يعني ان تكون تلميذاً. انه ذكر ثلاث خطوات بسيطة، ولكنها حاسمة.

قال أولاً: «من أراد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه.» لاحظ ان المسيح لم يقل: «لا بد أن يبغض نفسه.» لم يكن يطلب منا أن ننكر انسانيتنا الأساسية، أو شخصنا. إن اتخذنا كلماته بتلك الطريقة، فقد أخطأنا الفهم. لم يعني ما نعنيه عادة بإنكار النفس. نعني عادة بإنكار النفس باننا نتخلى عن شيء. لم يكن المسيح يتكلم عن التخلي عن وسائل الترف واسبابه، لكن عن إنكار نفس. إنكار نفس يعني ان ننكر حقنا لأنفسنا، وحقنا بأدارة حياتنا بانفسنا. ان ننكر باننا نملك انفسنا. ليس لدينا حق نهائي لنقرر ما سنفعله أو أين سنذهب. عندما نضعه بهذه العبارات نشعر حالاً بان المسيح كان يقول شيئا جوهريا. وانه يؤثر في بالنسبة لنا لأن شيء واحد نقيمه نحن البشر، ونشتهيه، ونحميه فوق كل شيء آخر وهو الحق أن نصنع قرار نهائي لأنفسنا. هذا ما كان يتكلم عنه المسيح. لم يكن يتكلم عنا لنتخلى عن هذا أم ذاك، ولكنه يتكلم عن تخلينا عن أنفسنا.

قال بولس الرسول الحقيقة نفسها التي أعطاها المسيح، إذ كتب للمسيحيين في كورنثوس ما يلي: «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١ كو ٦:١٩ و ٢٠). إن كنا سنتبع المسيح لا يجب علينا فيما بعد أن نملك أنفسنا. له الحق النهائي، له السيادة في حياتنا. لا ننتمي لأنفسنا فيما بعد. لا بد أن نصنع آخر القرارت عندما تكون الأمور الكبيرة في حياتنا في توازن. هذا ما قصده عندما قال: «من أراد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه.»

الخطوة الثانية تتبع في الحال. لا بد للتلميذ أن «يحمل صليبه.» ماذا تعني العبارة «يحمل صليبه»؟ اني متأكد بان هذه الكلمات التي أخترقت آذان التلاميذ كانت غير مفهومة لهم أبداً. لم يدركوا ما عناه. كان الصليب بالنسبة لهم شيء مبهم، وضباب غير واضح في أفق عقولهم. لم يفهموا أين كان يتوجه المسيح، ولكنه {أي المسيح} كان يعلم. كان يعلم بان بعد الأحداث المرعبة القادمة في أورشليم، وبعد الآلام الفظيعة وقسوة تلك الأيام، سيكون الرد عليها فرح ومجد القيامة، سيتأملون هذه الكلمات مرة أخرى ويفهمون ما كان يعني. نحن الذين نعيش على هذا الجانب من الصليب ندرك بسهولة ما كان يعني.

ومازال كثيرون يظنون بان الصليب هو نوع من المحنة أو المشقة أو العقبة التي لا بد لأحد أن يحتملها، مثل قريب ناقم أو تعويق جسدي. «ذلك هو صليبي.» هكذا نقول. ولكن المسيح لم يعني ذلك. كان الصليب وسيلة الحكم بالاعدام. عندما يحمل الإنسان صليبه في عالم الروم في القرن الأول كان يسير نحو موته. إذن صليبي للمسيح هو موتي له. انه دعاني لكي آتي وأموت، أموت لنفسي. موت لنفسي هذا هو الباب لحياته في قلبي.

الخطوة الثالث في درس تهذيبه كانت: «اتبعني.» وهذا يعني: «أخضع إليَّ.» اني اتعجب بصورة دائمة من الذين يدعون بانهم مسيحيين يعترفون بسلوك يعوزه الذوق بانهم لا يتبعون الرب في نطاق معين من حياتهم. نصارع كلنا هذا، ونخفق فيه عدة مرات. لم يكن يسوع يتحدث عن الكمالية كتلميذ؛ بل كان

يحدثنا ببساطة ما تعنيه التلمذة. يتضمن هذا اتباعه. يعني نختار ان نعمل بما يوصي به وننظر إليه للقوة لتحملنا.

في العبرية الأصيلة كل هذه الخطوات هي في صيغة المضارع المستمر: «أنكر نفسك على الدوام، أحمل صليبك على الدوام، اتبعني على الدوام.» ليس هذا قرار اللحظة بل برنامج لمدى الحياة.

التلمذة هي نكران حقك لنفسك، وحمل صليبك، وفعل ما قاله {يسوع}، تنظر إليه للقوة. هذه الكلمات قوية ومطالبة ولا بد انها قد اصابت التلاميذ بالكئابة وصدمة خطيرة. مثلنا مثل الرسل، نكون شاكرين بان الرب لم يدع أحد إليه أبداً دون أن يدعه يعلم ما ستتضمنه هذه الدعوة. كلمهم دون تردد ما يدخلونه. أنه لا يرغب في أي شخص يصير مسيحياً على شروط كاذبة. انه أوضح هذا جلياً منذ البدء.

٤. الدافع الأساسي
(مر ٨:٣٥)

استمر يسوع ليعطينا الدافع الذي سيحركنا نحو هذا الاتجاه: «فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها» (آية ٣٥). كان هذا صحيح حرفياً في الوقت الذي كُتب فيه. الذين بقوا تابعين للمسيح أُدينوا وأُعدموا. بينما الذين أنكروه أُطلق سراحهم. الذين خلصوا حياتهم المادية أهلكوا حياتهم الروحية، والذين هلكوا حياتهم المادية خلصوا حياتهم الروحية. كان يسوع يقول: «إذا حاولت أن تخلص حياتك، إذا تمسكت بها، طالباً أن تحصل على كل ما بامكانك الحصول عليه لنفسك، فانك ستفقدها بلا شك. ستجد بانك تملك كل ما تريده، ولكن سوف لا تريد كل ما تملكه.» الطريقة الوحيدة التي بها تستطيع أن تخلص حياتك هي أن تهلكها من أجله.

٥. الأمر النهائي
(مر ٨:٣٦-٣٨)

الأمر النهائي تم التصريح به في كلمات الرب في الجزء الآخير لهذه الفقرة. انه سأل في الآيتين ٣٦ و ٣٧: «لأنه ماذا ينتفع الإنسان، لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟» كيف يجعلنا سؤال المسيح هذا أختبار أنفسنا! انه قال: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العلم كله، وخسر نفسه؟» هذا السؤال ينطبق على جيلنا بكامله كما أنطبق على كل جيل منذ ذلك اليوم. ماذا ينتفع أن تحصل على كل ما تريده إذا هلكت نفسك عند الإجراء؟ لم يسأل يسوع السؤال فحسب، بل أظهر بان ليس هناك طريقة نخدع بها.

قال في الآية الآخيرة من الأصحاح: «لأن من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطيء، فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين» (آية ٣٨).

الخلاصة

جمع ك. س. لويس كل هذا بصورة جميل في كتابه بعنوان: مجرد مسيحية.

> سيحتل الله هذا العالم بقوة، ولكن ماذا ينتفع أن تقول بانك على جانبه وعندما ترى الكون المادي ينصهر كحلم؟ لأن في هذا الوقت سيكون الله دون قناع، شيء مثير جداً بحيث اما أن يصيب محبة لا تقاوم أو رعب لايقاوم في كل خليقة. سيكون الوقت متأخرا جداً حينئذ لتختار الجانب الذي تريده. لا ينتفع القول بانك تختار ان ترقد عندما أصبح الوقوف مستحيلاً. لا يكون ذلك وقت للإختيار. انه سيكون الوقت لنلاحظ أي جانب قد اخترناه، إن لاحظناه من قبل أم لا. الآن، في هذا اليوم، وفي هذه اللحظة، هي فرصتنا لنختار الجانب الصحيح. فإن الله ينتظر ليسمح لنا بهذه الفرصة. إنها لا تدوم إلى الأبد. علينا أن نأخذها أو نتركها.

هذا ما قاله المسيح للناس في أيامه، وهذا ما يقوله لكل منا اليوم. ليس من السهل أن تصير مسيحياً. انه راديكالي. وانه طريق الصليب، ولكنه الطريق الوحيد للحياة.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧